



العلم الزائف وضلالات العصر

قراءة نفسية في خطاب اليقين المطلق لدى الأطباء المثيرين للجدل

نمط تفكير وسلوك معرفي كما يتجلى في الخطاب العام، وفق مناهج الطب النفسى، وعلم النفس المعرفى، وفلسفة العلم، وأخلاقيات الممارسة الطبية. أولاً: تعريف العلم الزائف (Pseudoscience):

العلم الزائف هو منظومة ادعاءات تبدو علمية شكلاً، لكنها تفتقد جوهر المنهج العلمى، مثل:

- القابلية للتكذيب (Falsifiability).
- المنهج التجريبي القابل للتكرار.
- التحكيم العلمى والمراجعة النظرية.
- القبول المؤقت للنتائج وإمكانية تعديلها.

ثانياً: السمات النفسية والمعرفية للعلم الزائف:

- اليقين المطلق ورفض النسبية المعرفية.

- التمرکز المعرفى حول الذات.
- تحصين المعتقدات ضد التفنيذ.
- الخلط بين الخبرة الذاتية والدليل العلمى.

من وقت لآخر يخرج علينا طبيب يدعى أنه اخترع جهازاً يعالج الأمراض المستعصية فى أقل وقت وبأقل تكلفة، ثم طبيب آخر يدعى أنه يعالج فيروس C بوضع دجاجة على كبد المريض، وطبيب رابع يدعى معرفة الأسرار الخفية للأثار المصرية القديمة، وطبيب خامس يدعى علاج الأمراض المزمنة والمستعصية بنظام غذائى خاص دون استخدام أدوية. والغريب أن هؤلاء الأطباء قد لقوا قبولا وانبهاراً جماهيرياً واسعاً رغم انتقاد المجتمع العلمى لهم وتفنيدهم لأرائهم، ويبدو أن لدى الجمهور الواسع احتياج للحل الأسهل يجدونه عند هؤلاء الأطباء المثيرين للجدل، ونحن لا نسمى أحداً منهم احتراماً للخصوصية الشخصية لهم رغم اختلافنا مع آرائهم.

تمهيد منهجى:

هذا المقال يقدم تحليلاً نفسياً مشيرين للجدل فى المجال العام. ولا يهدف المقال إلى تشخيص طبي وضلالات اليقين فى العصر الحديث، أو نفسى لشخص بعينه، بل إلى تحليل

العلم الزائف هو منظومة ادعاءات تبدو علمية شكلاً ولكنها تفتقد جوهر المنهج العلمى



د. محمد المهدي

أستاذ الطب النفسي

- استراتيجيات إعلامية تقوم على الاستقطاب.
- ثامناً:** الآثار المجتمعية للعلم الزائف:
 - تضليل المرضى.
 - تقويض الثقة في المؤسسات الطبية.
 - فتح الباب لنظريات المؤامرة.
 - تهديد السلامة العامة.
- تاسعاً:** الضوابط الأخلاقية للممارسة الطبية:
 - التواضع المعرفي.
 - الالتزام بالمنهج الطبي القائم على الدليل.
 - احترام الإجماع العلمي وتوصيات وبرتوكولات العلاج الصادرة عن المؤسسات العلمية المعتبرة.

● الخلاصة:

يمثل العلم الزائف أحد أخطر ضلالات العصر، لأنه لا يكتفى بالجهل، بل يتسلح بيقين زائف وسلطة (وربما كاريزما) شخصية. ومواجهة هذه الظاهرة يكون بالتحليل العلمي الرصين. وترسيخ المنهج، وتوعية الجمهور، وإحياء التواضع المعرفي. ثم تقوم المؤسسات الطبية مثل نقابة الأطباء ووزارة الصحة باتخاذ الإجراءات القانونية اللازمة لوقف الممارسات الخاطئة والضارة الصادرة عن هؤلاء الأطباء الذين خرجوا عن إطار مهنة الطب.

خامساً: رفض الطب القائم على الدليل: الطب القائم على الدليل (EBM) لا يُبنى على السلطة الفردية، بل على:

- أفضل الأدلة البحثية.
- الخبرة الإكلينيكية المنضبطة.
- قيم وتفضيلات المريض.

 ورفض هذا الإطار من هؤلاء الأطباء أو غيرهم دون بديل منهجي يُعد خللاً معرفياً وأخلاقياً.
 سادساً: اللغة السوقية والانحدار المهني: تشير الدراسات إلى أن تدهور اللغة المهنية يرتبط ب:

- ارتفاع العدوانية الدفاعية.
- ضعف التنظيم الانفعالي.
- البحث عن التأثير الجماهيري لا الحقيقة العلمية.

سابعاً: فرضيات تفسيرية لخطاب وسلوك الأطباء المثيرين للجدل:

- صدمة الإقصاء المهني والصدام المؤسسي.
- تشوه معرفي تراكمي بسبب العزلة العلمية.

- الميل للخطاب الانفعالي واللغة الصدامية.

ثالثاً: التحليل النفسي المعرفي لخطاب اليقين المطلق لدى الأطباء المثيرين للجدل:

- انحياز الثقة المفرطة (Overconfidence Bias).
- التفكير الحدسي مقابل التفكير التحليلي (Dual Process Theory).
- التفكير السحري وشبه الخرافي في ثوب علمي.

رابعاً: النرجسية الخطائية مقابل ضلالات العظمة:

- من الضروري التمييز بين:
 - النرجسية الخطائية: تضخيم الذات، ادعاء التفوق، الحاجة للإعجاب، مع بقاء الاتصال بالواقع.
 - ضلالات العظمة: معتقدات ثابتة خاطئة غير قابلة للتصحيح، غالباً ضمن اضطرابات ذهانية.
- والخطاب العام محل التحليل يقترب أكثر من النمط الأول.

العلم الزائف أحد أخطر ضلالات العصر



ضلالات العظمة معتقدات ثابتة خاطئة غير قابلة للتصحيح

اليأس هو خبرة إنسانية عامة، ربما مررنا بها جميعا فى الأوقات الصحية من حياتنا سواء فى الأوضاع الوظيفية أو الحب أو الزواج أو الأسرة أو النواحي المالية أو الأزمات أو الكوارث وقد تمر هذه الحالة بعد وقت قصير وهذا قصير وهذا هو الأغلب ولكن فى بعض الحالات قد تستمر لفترات طويلة وتعمق فى نفوسنا وتسيطر علينا بالكامل وتصبح حالة مزمنة تؤثر فى نوعية حياتنا وتحيط قدراتنا على العمل وتعوق حركتنا نحو تحقيق أهدافنا وأحلامنا وتجعلنا نكره أنفسنا ونكره الحياة وفى بعض الحالات الشديدة قد تدفع الى الانتحار وهنا يصبح اليأس حالة مرضية وكثيرا ما يكون مصاحبا لحالات الاكتئاب.



والسعى فى قضاء حاجات الناس وتخفيف كرب المكروبين، وكلها شمائل راقية فى الإنسان بجانب كونها دعومات هامة لمن يسقطون فى هوة اليأس ومن الأشياء التى تقصر من عمر اليأس أن يكون لدى الإنسان منظومة معرفية عقائدية ترى أن الله يدبر الكون وأنه قادر على كل شيء فيه. وهذه القدرة ليس لها حدود، وهو الذى وعد بأن كل عسر حتما سيتبعه يسر، وأن هذا هو قانون الحياة، وأنه كلما أغلقت الأبواب المعتاة فى وجوهنا فإن أبواب الله لا تغلق وأن رحمته وسعت كل شيء.

وحيث تترسخ فى نفوسنا هذه المعانى الروحية العميقة فإن هذا ينعكس فى نظرة إيجابية للذات وللآخرين وللحياة والمستقبل وثقة بلا حدود فى عون الله وقدرته ورحمته، وثقة فى أن كل مشكلة لها حل، وأن بعد كل عسر يسرا، وأن ما لا نستطيعه اليوم قد نستطيعه غدا، وهذا كله يصاحبه حالة من السعادة والطمأنينة والرضا وانسراح الصدر وراحة الضمير والقدرة على حل المشكلات وعلى الإبداع وبنعكس هذا على صحة الإنسان النفسية والجسدية وعلى علاقته بالله وعلاقته بالناس.

د. محمد المهدي

يجعل الجسد عرضة لغزو الفيروسات والميكروبات وعرضة للأمراض المناعة وعرضة للاضطرابات النفسجسمية وعرضة لجلطات الدماء والقلب وقد يعرض اليأس الشديد صاحبه للموت واليأس الشديد صاحبه للموت واليأس فى هذه الحالة يشكل ظلما دامسا يلف صاحبه فلا يرى أى مخرج مما هو فيه. ويعجز عن التفكير فى حلول لمشكلاته ويكون تفكيره عدميا متجها نحو الفناء وتدمير الذات.

وحيث يكون اليأس عرضا من أعراض الاكتئاب أو الاضطراب الوجدانى ثنائى القطب، هنا قد يحتاج الشخص لتناول مضادات الاكتئاب حتى تسرع بزوال الأعراض وتعيد للشخص قدرته على التفكير والعمل، وتساعد على تلقي العلاج النفسى والتغير نحو الأفضل ومنع احتمالات الانتحار ومن العوامل المهمة فى العلاج أن يجد الشخص اليأس دعما ومساعدة وتقهما ممن حوله من الأهل والأصدقاء وهذا يشحنه بطاقة من الأمل والحماس والدافعية ربما هى ليست موجودة لديه فى لحظات يأسه وقد ورد فى الأحاديث الشريفة أهمية إغاثة الملهوب.

اليأس هو حالة من فقد الأمل وقلة الحيلة وفقد الطاقة وفقد القدرة على عمل أى شيء للخروج من دائرة اليأس مع حالة من التشاؤم تجاه الحياة والمستقبل وفى حالة اليأس يفقد الإنسان إيمانه بذاته وبقدراته ويفقد الإحساس بالمعنى فى حياته ويفقد الشعور بالسعادة ويفقد الثقة بالناس وربما يفقد الثقة بالعون الإلهى.

وقد عزف فيكتور فرانكل صاحب نظرية العلاج بالمعنى اليأس بأنه معاناة اللامعنى = المعاناة - المعنى وهذا يعنى فى رأيه أن علاج اليأس يكمن فى أن يجد الإنسان معنى لمعاناته وبؤسه وهذا يعنى إن المعاناة واليأس وحدهما لا يؤديان إلى اليأس ولكن يجب أن يصاحبهما حالة من فقدان المعنى لما يحدث.

وحالة اليأس قد يصاحبها فقدان لكل المشاعر الإيجابية وفقدان للشهية للطعام وللجنس وفقدان للرغبة فى الحياة واضطرابات فى النوم وعدم القدرة على التواصل الاجتماعى وعدم القدرة على التفكير فى الحلول وبالإضافة لذلك ينهار جهاز المناعة ويضطرب نشاط الغدد الصماء فى الجسم بما يتتبع اضطراب فى هرمونات الجسد وأيضا كيمياء المخ وهذا